الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة– سعيدة – د. الطـــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د)، التخصص : دراسات نقدية

مسارات الكتابة العربية في أدب السجون

رواية القوقعة لمصطفى خليفة "أنموذجا"

إعدادالطالبة:
سويح سومية

إشـــــراف الأستاذة الدكتورة:
حاكم عمارية

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. عبيد نصر الدين	جامعة سعيدة	رئيســـــــــــا
أ.د. حاكم عمارية	جامعة سعيدة	مشرفا و مقـــــــررا
أ.د. زحاف جيلالي	جامعة سعيدة	عضوا منـــــاقـــشا

السنة الجامعية : 1440هـ/ 1441هـ*** 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

أتقدّم بالشكر العرفان إلى الأستاذة الدكتورة: عماريّة حاكم على مجهوداتها وارشاداتها وتوجيهاتها العلمية القيّمة لانجاز هذا البحث الذي نرجوا من خلاله أن يكون إضافة نوعية إلى مكتبتنا العلميّة بكليّة الآداب واللغات والفنون بجامعة سعيدة.

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على أداء هذا الواجب، ووفقنا لانجاز هذا البحث.

أهدي ثمرة جهدي إلى الشمعتين اللتين احترقتا لتضيئا من أجلي نوراً، وإلى منبع المحبة والحنان.

إلى من رضا الله من رضاهما. إلى أمي وأبي

"وأقول لهما بارك لكما في صحتكما وابتسامتكما ورضاكما عني كما باركتها مسيرتي "

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي

إلى إخواني وأخواتي

إلى من سعدت بمعرفتهم وصداقتهم

إلى من شاركني دروب النجاح رفاقي وأصدقائي (عبد القادر زواية، نورالدين حمري ،هلال خديجة ،بلقومان حليمة ويسام بوسنة ،حليمي أمينة .

(ولا أنسى أختي توأم روحي خليدة سويح وهيبة)

مقدمة

أفضت تجربة الاعتقال والسجن السياسي في العقود الأخيرة، وفي البلاد العربية بمجملها إلى ولادة عددٍ لابأس به من الكتابات الإبداعية التي واكبت هذه التجربة المعاشة، وتجاوزت حدودها التوصيفية وصولاً إلى ارتياد فضاءات سردية جديدة. فممّا لا يخفى أنَّ الكتابات المحايثة لتجربة السجن لم تلبث -في العوامل العربية-أن تبلورت لتصبح إلى حدّ ما نوعًا أدبيًا ناجزًا يكتب أصالته، بشكلٍ عامٍ، من محاكاته للتجربة المعايشة، والحقيقة إنَّ مسارات السجن قد كانت في الكثير من الأحيان الحافز للكتابة والحرص عليها، وهذا ما أدى-ربما-إلى ولادة أصوات روائية متميزة ومتمايزة، حيث يشغل موضوع السجن حيزًا كبيرًا في منجزه السردي، ومن هنا جاءت هذه الرسالة بعنوان*مسارات الكتابة العربيَّة في أدب السجون* وهي دراسة تسلط الضوء على نموذج منتقاه، وقعت أحداثه في السجن وأَقْبِيَةِ التحقيق.للاحتلال الصهيوني وفي السجون العربيَّة، تحديدًا في سجن تدمر في سوريا.

وتعود الأسباب في اختيار هذا الموضوع إلى ضرورة التعمق في دراسة هذا الأدب، من خلال الوقوف على نموذج متنوع، والتعرف على عالم السجن مجتمعه ومحتوياته ونظامه، وسرد التجربة السجنيّة الحقيقية، كما تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض الأحداث والأسرار والحقائق الإجرامية التي يحاول السّجان المعتدي طمسها في سجن الإحتلال والتعرف على مسارات الكتابة العربيَّة.

وتكمن أهمية هذه الدّراسة في توضيح الدور الذي يؤديه هذا الأدب، فهو أدب ذو رسالة تربوية وتعبوية، ولابد من لفت الإنتباه إليه والإفادة مما جاء فيه من تجارب وقصص، خاصة بعد اتساع أفقة وكثرة المؤلفات فيه، اسماع شهادة الكاتب كتجربة إنسانية تستحق الوقوف عليها.

حيث إن كثيرا من دراسات هذا الأدب،" السجون وأثرها في الآدب العربيَّة" لواضح الصمد وهي دراسة تناول فيها الكاتب تاريخ السجون عند العرب منذ الجاهلية وحتى العصر الأموي، وألقى الضوء على ما كتب فيها من شعر ونثر، وأدب السجون لرضوى عاشور، التي تحدثت فيه عن أدب السجون بشكل عام.

ثمّ إنّني قد اخترت هذا النّموذج الرّوائي لدراسة دراسة فنيّة تحليليّة بعنوان" مسارات الكتابة العربيّة في أدب السّجون" (رواية القوقعة) للكاتب مصطفى خليفة (أنموذجا).

أمَّا المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الشخصيات وأماكن السجن وطبيعة السجان والحدث، والمنهج التحليلي الذي يعنى بعناصر البناء الروائي.

وقد جاءت خطة الدراسة في مدخل وفصلين وخاتمة، ففي المدخل قدمت مختصرًا لأدب السجون، تعريفه وأسباب ظهوره وأهم موضوعاته، وبعدها جاء الفصل الأول بعنوان "مسارات الكتابة العربيَّة في أدب السجون"، وفي هذا الفصل درست أربعة مباحث:أولها مسارات الكتابة العربية، والعوامل التي ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى، حضور السجن في الرواية العربية، وأخيرًا خاصية الكتابة السجنيّة.

أمَّا الفصل الثاني فجاء بعنوان "عناصر البنية الروائية في أدب السجون" لرواية القوقعة " لمصطفى خليفة(نموذجا)، والذي جاء في أربع مباحث هي:الشخصية، الحدث الروائي، المكان في السجن، أمَّا المبحث الرابع فهو توثيق موجز عن الكاتب صاحب الرواية، والفضاء النَّصي للرواية، تلخيصًا للرواية.

ومن بين الصعوبات التي واجهتها هي قلة الدراسات التحليلية في هذا المجال، وعدم وجود دراسات مستفيضة حول نص الرواية رغم قيمتها الأدبية، هذا إلى جانب صعوبة توافرها والحصول عليها.

ولقد استعنت بمصادر ومراجع متعددة والمجلات والمواقع الإلكترونية، وقد خصصت لها قائمة في نهاية هذا البحث، ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها،"السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حت نهاية العصر الأموي لواضح الصمد،"جماليات المكان في الرواية العربية" "لنابلسي شاكر"، بالإضافة إلى " الرواية السّجنيّة العربية" "لمحمد داني" وانتهت الدراسة بخاتمة، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها.

وفي الأخير أرجو من الله التوفيق والسّداد، فإن أصبت فللّه الحمد، ولمن مدّ لي يد العون كل الشكر والتقدير، وإن قصرت فمن نفسي، والكمال لله وحده.

مدخل

تمهيد:

يستلزم الحديث عن أدب السجون،العودة إلى تعريف نظرية الأجناس الأدبيَّة.

نظريَّة الأجناس الأدبيَّة:

انطلاقًا من النقد الأدبي واللغوي للشعر والقصة والحكاية والرواية وغيرها أصبح من الضروري تجنيس هذه الأنواع الأدبية، حتى يُدرس كل نوع على حدة، إذ لكل جنس خصائصه التي تميزه عن غيره، وتشير نظرية الأجناس الأدبيَّة *إلى مبدأ تنظيمي يضيف الأعمال الأدبية تبعًا لأنماط أدبية خاصة من التنظيم أو البنية الداخلية لهذه الأعمال.

واعتماد على المبادئ وطرائق بناء كل جنس أصبح في إمكان النقاد، بناء معايير خاصة لكل جنس أثناء النقد والتحليل.[1]

مدخل:أدب السجون:الماهية والمفهوم

أدب السجون من الأنواع الأدبية البارزة والمميزة في الرواية العالمية عامة والعربيَّة والمعاصرة خاصة الأمر الذي يعكس طغيان الاستعباد على الواقع السياسي العالمي[2]، وخلافًا للموضوعات المضادة

[1]- ينظر: الموقع الإلكتروني:نظرية الأجناس الأدبية، عمار الجنابي، الحوار المتمدن،WWW.m.ahewar.org،2011/07/18

[2]– ينظر:سلمى شارع، نصر الدين صوالح،*مقارنة بنوية تكوينية مقارنة في أدب السجون"عربة المجانين"لكارلوس ليسكانوو "يسمعون

فالحديث عن التعذيب والقهر والعنف ليس اختياريًا، يختاره الروائي بمنتهى الحرية، وإنَّما هو أمر مفروض على من يريد أن تأخذ على عاتقه مسايرة هذا الواقع-التجربة السجينة.

مفهوم السجن: إن كلمة السّجن كافية للشعور بالقهر وبسلب الحرية لأنّ السجن هو المكان المغلق الذي تصادر فيه حرية الشخص فيمنع من ممارسة حياته بشكل طبيعي، وتأخذ كلمة السجن إلى مفهوم ما يشبه العزلة أو الابتعاد عن النَّاس، وإن كانت هذه التعريفات والمصطلحات قد تنصب ممارستها على الفرد إمَّا بإرادته أو بشكل مفروض عليه، فقد وجد السجن مع وجود الإنسان وقد مارسه بطرق مختلفة.[1]

أ/-السجن لغة:

جاءت لفظة السجن في لسان العرب لابن منظور*بمعنى السَّجن، والسجن بالفتح:المصدر سَجَنه،يَسْجنُه:سَجْنًا أي حبسه، والسِّجن: الحبس، وفي بعض القراءة قال ربِّ السّجْنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه*فمن كسر السين فهو مصدر سجنَهُ سجنًا والسجَّان: صاحب السجن، ورجل سجين: مسجون وكذلك الأنثى بغيرها، والجمع سجناء وسجنى وسجين فعيل من السجن والسجين*.[2]

[1] ينظر: بوسعيد حليمة، حرر الوطن في الشعر، "محمود درويش"-أنموذجًا-"مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر،تخصص أدب حديث تحت إشراف الأستاذة بروش حسناء، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي،س.ت،2014م-2015م، ص:06.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، د.ط، د.ت، ص:203.

* ينظر: سورة يوسف، الآية،33.

وعلى العموم **فالسجن(الحبس)**: هو سلب لحرية إنسان ما بوضعه في مكان يقيد حريته، ويمنعه من ممارسة حياته العادية.

اصطلاحًا:

وردت الإشارة إلى لفظة (سجن) في القرآن الكريم في قصة يوسفَ عليه السلامِ في قـــوله تــعالى:﴿**قال ربِّ السجنُ أحب إليَّ ممّا يَدْعُونَني إليْه...** ﴾،[1] وفي قـــوله تـعالى:﴿**يا صاحبي السجْن أأربَابٌ متفرِّقون خَيْر؟ أَمِ اللهَ الواحِدُ القهار**﴾،[2] والسجن هو المكان الذي تُنفَّذُ فيه العقوبات التي تتخذها المحاكم بحق الإنسان الذي ارتكب جرمًا، وما ذهب إليه العقاد في تعريفه للسجن بأنَّه* مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم، ثم أصبح مكانًا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو في طريق ذوي السلطان*.[3]

السجن هو طريقة لاحتجاز شخص بموجب حكم قضائي، أو قرار إداري من سلطة يستند، إمَّا إلى قانون ينص على عقاب الشخص أو لمجرد قرار تقديري من سلطة بمعنى هو:(مدرسة لإعادة التربيَّة والإصلاح) كما هو شائع.

[1] سورة يوسف، الآية:33

[2] سورة يوسف، الآية:39

[3] سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،دار النهضة العربيّة،بيروت، لبنان، ط1، 2003م،ص:34-35

ويذهب **الدكتور: سالم المعوش** في كتابه(شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر) إلى تعريف السجن بأنَّه:" مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله، وإنزال العقوبة به، وحجزه بغية تأديبه".[1]

إن السجن هو مؤسسة عقابية أوجدتها التشريعات القانونية في المجتمع من أجل إعادة تأهيل المجرمين، وإصلاحهم نفسيًا واجتماعيًا وإعادتهم إلى الاندماج بين الأفراد مرة أخرى.

وعلى الجملة:إنَّ السجن هو سلب لحرية الأشخاص الذين لا يحترمون القوانين التشريعيَّة المنصوص عليها في دولة ما. من أجل ردعهم وتأديبهم، ويترتب عن السجن نتائج إيجابيَّة وأخرى سلبية حسب نوع كل قضية، وحسب نفسية كل سجين.

ولقد سبق الذكر بأنَّه أدب السجون هو نوع أو جنس من الأجناس الأدبية، حيث لكل جنس معايير ومبادئ حدّدها النقاد، ويمكن تعريف أدب السجون كالآتي:

تعريفات أدب السجون:

تعددت تعريفات أدب السجون رغم اتحاد مضامينها، فالروائي (إبراهيم الرّبط) والأديب الناقد (عبد الخالق العف) قدْ اتفقا على أنَّ أدب السجون هو كل ما كتبه الأديب داخل المعتقلات، أمَّا ما

[1] سالم المعوش، المرجع نفسه، ص:38.

يكتب عن السّجن من غير السّجناء فهو أدب السجون.[1] ورأى الأديب والرّوائي (شعبان حسونة) أنَّ أدب السُّجون هو كل ما يكتب في السجن ويهتم بقضايا السّجن، ويستثني الأدب العاطفي والبوليسي وغيرهما حتى لو كتبت في السجن.[2] في حين رأى الأديب المحرّر (فايز أبو شمالة) أنَّ أدب السجون هو كل ما له علاقة بالوجدان والعاطفة، والذي يعبر عنه من خلال الرّواية والقصة والشعر والخاطرة، وهو عنده شقَّان: شق يتعلق بالسجناء أنفسهم وما كتبوه داخل السّجن، وشق يتعلق بما عبر عنّه الأدباء خارج السجن من بعد أن استمعوا إلى خاض تلك التَّجربة، لذلك حاول كثير منهم أن يعيشها بوجدانه ثم يعبر عنها وفق ما تصوّرته مخيّلته.

وقد رأى بعض الأدباء النّقاد مثل (سلمان جاد الله) مؤلف "منابع أدب الحركة للسيرةالوطنية"، بأنَّ أدب السّجون هو الذي ينجزه السَّجين داخل السجن، ويشمل الرّواية والقصة والشعر والمسرحية والزّجل وحتى اللوحات الفنيَّة المرسومة، ويستثنى من ذلك المقالات السّياسيَّة والتاريخ، في حين إنَّ السجين الأديب الدكتور خضر محجز رأي أنَّ كل إنجاز أدبي يكتبه السّجناء خلال اعتقالهم حتّى لو لم يكن عن السّجن؛ هو أدب سجون-وقال السجين الرّوائي (وليد الهودليّ) إنَّ أدب السجون هو كل ما يَكْتُبهُ السجين داخل المعتقلات، أو ما يكتبه من مذكرات بعد التَّحرر، أو ما كتب عنهم

[1] ينظر:رأفت حمدونة، أدب السجون التعريف والمميزات، مقالة إلكترونية،http://pulpit.alwatanvoice.com.com/ articles/24/01/2016/391920/html ttps://pulpit.al watanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.htm/.

[2] ينظر:المرجع نفسه.

وعن السجون من غيرهم شعرًا ونثرًا،ويستثني الدّراسات والأبحاث والكتب في مجالات من غير الإنتاج الأدبي.[1]

ومن جانب آخر نجد الأدبية والسجينة المحررة (عائشة عودة) ترفض التسمية بأدب السجون بما لها من دلالة ضيقة محدودة أو النسبة للمكان، وتفضّل تسمية هذا الأدب بأدب المقاومة أو الأدب المقاوم.[2]

إنَّ السجن سجون في مخيلة الشعراء: سجن في النفس، وآخر في الأهل والمجتمع، وثالث في مبنى حقيقي. وللسجن صور متنوعة سواء أكانت بفعل سجان أم بفعل ظروف مطلقة، وقد تصور الشاعر الإمام (محمد العيد آل خليفة) السجن محابس، وهو الذي جربها وقضى قرابة ثماني سنوات رهين الإقامة المحدودة في سجن فرنسا (أيام الاحتلال)؛ يقول:

فأعرض عن الدنيا بوجهك عابسًا وإنَّ كان طلقًا وجهها غير عابـــسٍ

حفاها رهينُ المحبسين وعافـــها فكيف يوليها رهين المحابيـــــس[3]

---

[1] ينظر:رأفت حمدونة، أدب السجون التعريف والمميزات، مقالة إلكترونية،http://pulpit.alwatanvoice.com.com/ articles/24/01/2016/391920/html ttps://pulpit.al watanvoice.com/articles/2016/01/24/391920.htm/.

[2] عائشة عودة،مقابلة شخصية مع شرين محمد حسن سليمان،مقهى دياب رام الله بتاريخ:2017/11/11 الساعة الحادية عشر والنصف.

[3] محمد العيد آل خليفة، (الديوان)، تقديم:عمر بن قتيبة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م، ص:80.

وشعر السجون يمثل صورة من صور المقاومة الجادة بالقلم والبدن، ومعلمًا من معالم الأصالة والعبقرية في ليالي الاستعمار لأنَّه شعر التزام بقضايا الوطن والأمن، ودافع عن المقومات في سبيل التحرر بروح إيمانية وتصور إسلامي وبسالة استشهادية.[1]

واستنادًا إلى كل هذه التعريفات، وإن اختلفت آراء النقاد والأدباء حولها؛ فإنَّها اتفقت في مضامينها الأساسية، لما يحمل من مميزات وخصائص ورِقَة مشاعر وأحاسيس ومصداقية وقدرة على التعبير والتأثير، وهو كل ما كتبه الأسرى داخل الاعتقال وليس خارجه، بشرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ويفرق الباحثون بين " أدب السجون" المستوفي للشروط الأدبية وبين" أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى" التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسة السياسية،والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، حيث الركيزة الأساسية للمكان هو –السجن–(أدب السجون هو أدب الممانعة والرفض، وهو كل عمل أدبي له علاقة بالسجن سواء ممن عاشوا التجربة أنفسهم، أم ممن كتبوا عنها من المبدعين، من خلال ما قرأوه من معاناة المسجونين أم من خلال شهاداتهم المسموعة أو المكتوبة.

وقد نشأ أدب السجون منذ القدم و منذ أنشئت السجون، إذ هناك الكثير من الشعراء والكتاب الذين نقلوا تجربتهم داخل السجن ووثَّقُوها نثرًا وشعرًا، ولعل هذا النوع من الأدب كان الأكثر إنسانية كونه يعبر عن حالة خاصة، وتجربة شخصية عانى منها السجين، فعبر عنها بأسلوبه تعبيرًا يفيض ألمًا

[1] ينظر: رضوى عاشور، أدب السجون، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ط)، القاهرة، 2004م، ص:11.

وصدقًا وشفافيةً، وكان لأزمة السجن أثر كبير على الإنسان ، إذ إنَّ تلك العقوبة القاسية التي تقوم على سلب الحرية_ وهي أعز ما يملكه البشر_ تعني التوحد مع الذات ومحاسبتها ولومها، وللسجن أثار بينة على جسد السجين ونفسيته، وربما أثرت كذلك في فكره وقيمه وفناءاته. لذا كانت تلك التجربة من بين أقصى التجارب التي يبلي بها البشر، ومن هذا التأثّر الشديد انطلقت أحاسيس الأدباء من السجناء وتيقظت ملكاتهم وخطت أقلامهم ما علق في قلوبهم وأذهانهم، فكان أدب السجون حقلاً واسعًا مستقلاً من حقول الأدب المتنوعة بشعره ونثره.[1]

أسباب ظهور أدب السجون:

لعل أبرز الأسباب ظهور أدب السجون الحرب النَّفسية التي يتعرض لها السجين على الصعيدين الداخلي والخارجي، تلك الحرب التي تشن ضده من سجّانه الذي يسعى بكل الطرق إلى دفعه للشعور بالدونية وتبخيس الذات والإحباط واليأس الشديد، تلك الطاقة الكبيرة من المشاعر وجَدَت في الكتابة الطريقَ الوحيدَ المتَاح لتظهرَ وَتَنْفَجِرَ،فهي وسيلة السجين الوحيدة ليبصق كَمَّ الأَسَى والحقد والمرارة الذي تجرَّعه نتيجة تراكم السنوات والعذابات،فَيَتَفَجَّر ذلك الإحساس الوجداني، وتَحَرَّرَت تلك الطاقة الكامنة، استجابةً لوضع القائم وتُرجِمَ على هيئة شعر أو نثر،[2] فتصير الكلمة هي المتنفس للسجين وسريته الوحيدة، وتظهر نتيجة لذلك قواميس لغوية خاصة بالسجن وقضاياه، وتتشكل

[1] ينظر: شرين محمد حسن سليمان، دراسة تحليلية لنماذج روائيَّة من أدب السجون، رسالة ماجيستر، القدس،فلسطين،1439م-2018م

[2] ينظر:سلمان جاد الله، منابع أدب الحركة الأسير الوطنية، ص:31.

ألفاظ ذات دلالات جديدة وشديدة الخصوصية، تثير الانفعال بسبب تعبيرها عن مضامين الإنسانيَّة الثوريَّة والنفسيَّة.[1]

وكان لظهور أدب السجين وممارسة كثير من السجناء لفن كتابة أثار مهمة جدًا، إذ تركت بصمات إيجابية على واقع السجن، وطورت ثقافة السجين وفكره، فنلاحظ فرقًا كبيرًا وتغيرًا واضحا يطرأ على السجين الكاتب بعد قضائه مدة من عمره في السجن،حيث تتطور قدرته على التعبير وإدارة دقة الحوار مهما كانت الأيديولوجية التي ينطلق منها.فتجربة السجن رغم قسوة ظروفها كانت كفيلة بالرجوع إلى الذات، وزيادة الوعي وإغناء التجربة الذاتية وتحمل المسؤولية، إلى جانب التاريخ لكثير من المواقف والأحداث بلغة وصفية تفصيلية.[2]

وإزّاء قساوة السجن ومعاناته جاء الأدب تعويضًا لكثير من الحاجات المفقودة والمسلوبة من السَّجين، إذ كانت الكتابة بمثابة الحق المنتزع والحرية التي أحرزها السجين بعد انتهاك حقوقه كافة في ظلمة المعتقلات، فكان أدبه انعكاسًا للحرمان والقمع والإرهاب؛ مستفيدًا بما أتيح له من أدوات قليلة ومن زمن ممتد طويل.

وعلى الرغم من أنّ أدب السجون يدخل في خانة الكتابات المعارضة المصاغة فنيًا، التي يفترض فيها منطقيًا قتلها وتغييبها، كما حدث للكثير من السجينات التي فقدت قديمًا *الأسباب عديدة

[1] المرجع نفسه، ص:45.

[2] سلمان جاد الله، منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، ص:47.

أهمها العامل السياسي إذ المعتقد أن الشعراء باحوا بات نصوصهم وخففوا عنها بكثير من الشعر الناقم، ولكن الخوف من السلطان منع من تناقل ذلك الشعر وصيرورته بين النَّاس*.[1]

وتظهر قيمة السجن بشكل كبير في الرواية، بوصفها الجنس الأدبي الأقدر على النقد السياسي والإجتماعي والثقافي، بفضل عناصرها الفنية وقدرة لغتها التعبيريَّة التي يعتمدها الكاتب كوسيلة لتعرية الواقع ونقده، فتمتاز حينئذ بالبساطة والوضوح متجنبة الزخرفة اللفظية والموسيقى الشعريَّة، كما هو الحال في الشعر فلغة الرّواية أكثر.[2] مرجعيته-أي مطابقة للتجربة الإنسانيَّة-من لغة سائر الأنواع الأدبيَّة، من حيث إنَّها تستهدف جميع العقول والأذواق على اختلاف مستوياتهم، فتتمظهر في مستويات متنوعة، فهنالك لغة الفلاح البسيط، ولغة المثقف الحصيف، ولغة الطيب وغير ذلك من المستويات اللغوية، لذلك فنحن نتعاطف مع موضوعها أحيانًا، وأحيانًا مع شخوص الرّواية فيحدث التأثير حتى درجة التطهير.[3]

[1] ينظر:واضح الصمد،السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي(ط1)،المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان، 1995م، ص:08.

[2] دلالة المكان في أدب السجون في المغرب الأقصى،"رواية:تذكره ذهاب وإيابإلى الجحيم"لمحمد الرايس أنموذجًا، لكحل عبد القادر 2018م-2019م.

[3] سماح ادريس، المثقف والسلطة ص:19 نقلاً على منصور البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة، جامعة لخضر، باتنة 2007م-2008م، ص:100.

وهذا بعد العرض البسيط لماهية السجن وأدبه الإبداعي، يمكننا المرور إلى مسارات الكتابة العربيَّة في أدب السجون وخاصّة في مجال الرّواية العربيَّة التي ذاع صيتها عالميًا في قضايا السجن العربي، وما ينجم عنه من عاهات وحالات نفسيَّة يصل بعضها إلى موت السجين.

الفصل الأول

مسارات الكتابة العربية في أدب السجون

*العوامل التي ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى.

*حضور السجون في الرّواية العربيَّة.

*خاصية الكتابة في السجن.

تمهيد:

تعد الكتابة الإبداعيَّة في أدب السجون من الظواهر الحديثة التي عرفها العالم العربي، ولقد اختلف النقّاد في تحديد ماهية الكتابة في السجون والمعتقلات، فيما يمكن عدها للشروط الإبداعيَّة كونها لاتصل إلى مستوى العمل الفني الناضج لدى بعضهم، وكونها لا تتعدى الإبلاغ في صورة تقريريَّة ولغة خطابية مباشرة تبتعد عن جمالية الأدب نثرًا كان أم شعرًا لدى بعضهم الآخر.[1]

وتضيف الباحثة (حورية رواق) شارحة مسارات الكتابة العربيَّة بقولها:"إنَّ مثل هذه النَّظرية قد تكون مصيبة لبعض حقيقة هذا النوع من الكتابة بشرط تجريدها من الظروف التي كتبت فيها، أمّا ربطها بموقع الحدث، وقراءتها ضمن ملابساتها وأبعادها فهو ما يجعلها خلافا لذلك، ولأنَّ الشاعر لا يملك في معتقلة إلاَّ الكلمة ينفس بها عن مرارة العذاب ولأجل الحرية هذا الهدف الأسمى يصبح للكلمة على بساطتها وجود فعلي فتكون وجهًا من وجوه التجربة الإنسانيَّة"[2].

أمَّا (رضوى عاشور) فإنَّها تقول: "كُتّاب كان نص السجن هو نصهم الوحيد، سجلوا فيه تجربتهم ثم مضوا إلى حالهم وتخصّصاتهم الأخرى، وتشمل هذه الكتابات فضلاً عن اليوميات والسير الذاتية والروايات والقصائد والمسرحيات شهادات لاحصر لها ومقابلات وشذرات"[3]، كل هذه الكتابات تندرج تحت ما يسمى بأدب السجون.

---

[1] حورية رواق،سجينة عمر شكري،المضمون والبناء،جامعة خنشلة (الجزائر)،مجلة مقاليد،العدد الثالث،ديسمبر 2012م،ص:75.

[2] رضوى عاشور،أدب السجون،الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ط)، القاهرة،2014م،ص:11.

[3] المرجع نفسه،ص11.

وعلى الرغم من أنَّ أدب السجون يدخل في خانة الكتابات المعارضة المصاغة فنيًا فلم يبين حبيس مخاوفه من القابضين على السلطة الذين جرعوه آلام السِّجن، بل راح يحول كلُّ هذه الآلام إلى كتابة بأسلوب أدبي راقٍ.زاوج فيه الجمالية الفنية للسرد بكل عناصره، فروى لنا الأحداث التي سبقت اعتقاله وظروف تواجده بالسجن، مسلطًا ضوء قلمه على وصف المكان كعنصر بُؤري تدور حوله كل الأجزاء والعناصر.

ذلك أنَّ السجن معطى مكاني محدد جغرافيًا وتاريخيًا لا يمكنه أن يكون معطى فاعلاً خارج فعل الكتابة التي تجعل منه موقعًا مهما على مستوى التأثير بما يثيره حوله من انفعالاته قد لا تكون موجودة أو قد لاتكون أصلاً إن لم يتحول السجن إلى نص،[1] ولعل سر قوة البنية الفنية لهذا النوع من الأدب تكمن في حقيقة وواقعيَّة التجربة القاسية، وصدق مشاعر العذاب والقهر الذي تعرض له كاتب هذا النَّص.[2]

العوامل التي ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى أهمها:

1-دخول الكتب الأدبية للسجون في العام 1972م، وتوافرها في نهاية السبعنيات، والتي مثلت العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام، والطفرة الأدبيَّة الاعتقالية بالشكل

[1] أمال كبير، مقال بعنوان سجن النساء(حتمية الموقف ومصادقة الحياة قراءة في روايات نسوية)،نقلاً عن مذكرة ماستر من إعداد الطالبتين سلمى شارع ونصر الدين صوالح، جامعة العربي التيمة، سنة الموسم الجامعي2016م-2017م، ص:09.

[2] دلالة المكان في أدب البحوث في المغرب الأقصى"رواية تذكر ذهاب وإياب إلى الجحيم"لمحمد الرباس أنموذجًا،مذكرة تخرج ماستر لكحل عبد القادر، ص:07.

الخاص،"في المرحلة ازدهرت القراءات الأدبيَّة لنشمل طبقًا واسعًا من الأباء على المستوى العام ابتداءًا غسان كنفاني واميل حبيبي في مجال الرّواية مرورًا بنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، طه حسين وانتقاله تولستوي، وديستويفسكي، ونور جنيف ومكسيم جوركي، وكتاب الأدب السوفيني اللاحقين، والعودة إلى شكسبير وتشارلزد يكنز وفيكتو في أوروبا. والانطلاق نحو الأدب الأمريكي وخصوصًا أدب جون جون شتايبنك...وكتاب آخرين من قوميات وتجارب وأجناس مختلفة في مجال الرّواية والقصة والشعر والمسرح،والتي شكلت جامعًا ممنعًا ومصدرًا عزيزًا للمعارف والاستمتاع.[1]

2-تنامي قوة الحركة الوطنية الأسيرة، وتطور أساليب الإسناد الجماهيري لها، ما أدى إلى جم شراسة القمع الجسدي والفكري، وخفف من حدّة القهر الممارس ضد الأسرى.

3-دور المجلات والنشرات والصحف التي كان يصدرها المعتقلون، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبيَّة والقصائد الشعرية في مجلات أدبيَّة خاصة" كصدى نفخة، والصمود الأدبي".

4-التلفاز واضطرار إدارة السجن إلى السماح بإدخاله في غرف السجن، ما أتاح للمعتقلين الإطلاع على العالم الخارجي من خلال الإطلاع على بعض البرامج الأدبيَّة.

والفنية في الفضائيات العربيَّة التي سمحت بها إدارة مصلحة السجون، ثم عادت ومنعت بعضها ضمن سياسة التضيق.

[1] مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة:ابدعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، المرجع السابق، ص:43.

5-نشر أعمال بعض المعتقلين خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة.[1]

إنَّ كل هذه العوامل ساعدت الأسرى بالتشجيع والتحفيز بالتحدث عن تجربتهم السجينة وإنشاء روايات تسرد معاناتهم التي عاشوها في السجن.

حضور السجن في الرواية العربيَّة:

من الطبيعي إن يكون حظور السجن في الرّواية العربيَّة متأخرًا، ففنيًا تعتبر-أي الروايَّة-جنسًا أدبيًا جديدًا لم يعرف الأدب العربي من قبل، بغض النظر عن اختلاف النقاد حول وجود جذور له في تراثنا السردي أم لا، أمَّ مضمونًا فإنَّ جعل السجن موضوعًا للكتابة لاسيما في أواخر القرن التاسع عشر كان يعتبر بمثابة الثورة على الحاكم، لذلك جاءت كتابات الطهطاوي والكواكبي والبستاني وعلي مبارك الشدياق وغيرهم لتؤكد،*على معاني الحرية ولكنها لم تستطيع أن ترقى إلى مستوى الفن الروائي بل بقيت أسيرة السيرة الذاتية والمذكرات، واحتوت على مشاغل المجتمع العربي مستفيدة من المدرسة الومانتيكية، وهذه الرّوايات لم تتعرض لموضوع السجن*.[2] من بين هذه الروايات نذكر رواية "الإنقلاب العثماني"كجورجي زيدان، ورواية أمين الريحاني" خارج الحريم" في الجزائر يمكن أن نعدد مجموعة لا بأس بها من الروايات التي بدأت تطرق موضوع السجن لكن منظور أخر، من هذه ثلاثيَّة

[1] سلمان جاد الله، أدب المواجهة، المرجع السابق، ص:113-114.

[2] علي منصور، البطل السجين في الرّواية العربيَّة المعاصرة، جامعة لخضر، باتنة،الجزائر، 2007م-2008م، ص:08.

محمد ديب(الدار الكبيرة-الحريق-النول) أين يتجول البيت وكذلك الوطن إلى سجن كبير، فعذبات الفقر والمرض والجهل لا فرق بينها وبين آلام السجن، المكان فقط هو الذي يختلف في الحالتين.

قد اهتمت الرّواية بالسجن لتكون تاريخًا وصورة وانعكاسًا للواقع، وشهادة حية ودامغة، ووثيقة خالدة.

بعد استقلال الأوطان العربيَّة بدأت تظهر كتابات جريئة نوعا ما، على الرغم من طغيان الجانب السياسي كرواية (تلك الرائحة) "لصنع الله ابراهيم" هي أول رواية تناولت السجن بطريقة فنية وملتزمة *وعلى الرغم من أنَّ هذه الرّواية قد صُورَت ومنعت من النشر*. ثم جاءت الروايات العربيَّة تباعا رغم أنَّها تناولت قضية السجن والإعتقال والتعذيب باحتشام. وأنَّها لم تكشف عن واقع السجن والقمع الذي يمارس فيه بالشجاعة المطلوبة.وهذا ما جعل البعض يرى بأنَّ الرواية العربيَّة السياسية قد تخاذلت عن توثيق هذا الموضوع الخطير، وتجنبته بشكل فاضح،[1]والأديب عبد الرحمان منيف في كتاباته السجينة.كما في رواية المتوسط و(الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى)، يؤكد أنَّه قصد الكتابة عن هذه الظاهرة الإعتقالية، حيث قال:*لقد تصديت لظاهرة السجن لإعتقادي أنَّها أبرز وأهم الظواهر المباشرة التي تدل على وجود القمع والتي تدل على اختلاف العلاقة لقد زاد القمع واتسع لدرجة لا تصدق أصبح كل إنسان سجينًا أو مرشحًا للسجن*.[2]

[1] علي منصور، المرجع السابق، ص:13.

[2] منيف،(عبد الرحمان)، بين الثقافة واليساسة، ص:170.

يمكننا القول بأنَّ السجن هو المكان الذي يمارس فيه الحرمان من الحرية والحط من كرامة الإنسان وتكسير شوكته، وتهديم معنوياته، وزرع اليأس فيه.

من هنا استطاعت الرّواية السجينة في ظل الأوضاع العربيَّة، والظروف الصعبة أن تضع اللبنة لأدب السجون، والقهر والإعتقال العربيَّة الذي يهتم بالواقع السياسي للمجتمع وعلاقة الإنسان مع السلطة والنظام.

وقد اهتمت الرّواية العربيّة بالسجن، وصور الإعتقال والتعذيب لأنَّها أكثر الفنون الأدبية احتواء، والأقدر على التعبير عن ظاهرة السجن والإعتقال بكل دقة وتفصيل.

كما أنَّها الأداة المثلى لفضح المستور وكشف الطابور والمحكوت عنه إنَّها " النوع الأحبس في مواجهة القمع وتعرية مشاكل التعصب وتعليم براثن التخلف والجهل".[1]

الرواية السجينة العربيَّة رواية الإسترجاع بإمتياز هذا الإسترجاع يكون مؤلمِا داميًا...موقظًا للمواجع والآلام.

بركب هذا الإسترجاع من السبعنيات والثمانينيات من هذا القرن ...لنقف من خلاله على نوازع الألم والمعاناة ...ونقف فيه على صور التنكيل والقهر،والتسلط...

[1] جابر عصفور،(أحمد)، فجر الرّواية العربيَّة، ريادات مهمشة، مجلة فصول، المجلد 16، ع04، ربيع1998م، ص:13.

هناك كثير من الرّوايات السجينة من بينها(كان وأخواتها-تلك العتمة الباهرة-معذبني-السجن-الكراديب-القوقعة...) كلها تتحدث عن التجربة السجينة وصور الإعتقال والتعذيب[1] التي عاشها كل هذه الكتابة.

خاصية الكتابة السجينة/كتابة الإعتقال ومصادرها:

الكتابة الإعتقالية المعبرة عن ظروف الإعتقال والمعاناة السجينة تجمع بين زمنين متناقضين:زمن المعاناة (الإعتقال-التحقيق-التعذيب-حياة السجن-جو الزنزانة وحياتها)،وزمن التعبير عنها إمَّا كتابة أو منقاهيًا (حكيًا)

وهذه الكتابة السجينة تتميز بالإسترجاع والحفر في الذاكرة والنبش في الماضي، وهذه العمليات كلها تعيد إحياء الماضي وآلامه.كما أنَّها توقظ الجروح وتفتح للآلم نوافذ ليطل منها عبر الذكريات والتذكر والذاكرة.

وهذه الكتابة لها قيمتها الفكرية والتاريخية والإجتماعية والأدبية.ولها-كذلك-قيمتها فهي تقدم لنا صورة جيل عاش المحنة وعايشها جيل عاش فترة أطلق عليها في المغرب بسنوات الجمر والرصاص والقمع وهدر الحريات.

[1] محمد داني، الرّواية السجينة العربيَّة، دراسة نقديَّة، ط1، سنة 2016م، ص:05(مدخل).

وهناك الكتابة القريبة من المحنة، والتي كانت تعبر عنها في سرية تامة مثل(العريس) لصلاح الوديع والكتابة البعيدة من المحنة والتي جاءت على شكل مذكرات ويوميات .وقد تمت بعد الخروج من المحنة (بعد الإفراج)، والتمتع بالسراح والحرية أو جاءت بعد الإستماع من طرف هيئة الإنصات والمصالح، لفضح هذه السنوات التي تميزت بهذا التوصيف(سنوات الجمر والرصاص).

والكتابة عن التجربة السجينة هي نوع من الدفاع عن النَّفس، وعند الكثيرين:"أنا أكتب أنا موجود"،وبالتالي هي كتابة إدانة ...كتابة تنديد وإشارة إنَّها صرخة معبرة عن الظلم الذي يمارس في سراديب المعتقلات ومخافر الشرطة.

والكتابة السجينة، إمَّا كتابة من داخل المعتقل ،أو كتابة بعد انتهاء المدة الحبسية (أي بعد الإفراج) لذلك يلجأ إلى وسيلة الحفظ وكتابتها من خلال الحفظ والذاكرة،*...في السجن الصحراوي لا يوجد أقلام ولا أوراق للكتابة ...*"عندما قررت كتابة هذه اليوميات كنت ما استطعت التدريب تحويل بالذهن إلى شريط تسجيل،سجلت عليه كل ما رأيت وبعض ما سمعت.[1]

لذلك اعتبرت الذاكرة استرجاع تجربتهم السجينة، وهناك كتاب يدخلون وتجربة الأخرين، ويكتب حياتهم السجينة التي عاشوها، كما فعل الروائي المغربي الطاهر يتحلون في زوايته(تلك العتمة الباهرة)،لكن الكتابة السجينة ذات الفنية والجمالية هي الكتابة التي يجعل منها صاحبه من تجربته

[1] مصطفى خليفة (القوقعة)، ص:02.

السجينة Son experience carcerale لا تجربة غيره خبالاً روائيًا ليخرج من رتابة الوثائقية والتسجلية.

وقد تنوعت هذه الكتابة فنجد منها إلى جانب رواية الإعتقال:

1-الرسائل:وتشمل كل ما يتعلق بالإعتقال،والتي وجهت رسائل منه إلى المنظمات السياسية والهيئات الحقوقية والمنابر الإعلامية أو بعض المناضلين أو السياسين.

2-المحاضرة:وتتعلق بمحاضرالتحقيق والمحاكمة،والتي تعطيناصورة عن كيفية التحقيق والطريقة،والأسئلة التي وجهت إلى المعتقل وأجوبته، واعترافاته.

كما أنَّ محاضرة الإستنطاق التمهيدي والتفصيلي لها أهميتها، والتي تبين من خلالها إليهم والوقائع التي مر فيها التحقيق والإستنطاق.

بالإضافة إلى محاضر المحاكمات وجلساتها ومرافعات الدفاع، ومذكراته، والتي تبين نوازل المحاكمات وسيرورتها.كما أنَّ منطوق الحكم ذو أهمية في هذه الكتابة السجنية.

3-الحكي الشفاهي(الحكاية السجينة الشفاهية):

وهي للحدث الإعتقالي شفهيًا:والتي تتضمن مجموعة من الحقائق والوقائع واللحظات التاريخية.

وكاتب هذه الحكاية الشفاهية ما عليه إلاَّ ضبطها، والتحقق من حقيقتها التاريخية، والقيام بإعادة بناء أحداثه، ومن الحكايات السجينة الشفهية نجد رّواية (فراشة) لهنري شاريير و(تلك العتمة الباهرة) للطاهر بنجلون.

وهذا الحكي الشفاهي يأتي بعد مرحلة الإفراج.فيكون عبارة عن رؤيا لمرحلة مؤلمة مر منها الحاكي، تلقى هذه الحكايات كتاب وصاغوها بأسلوبهم،وفنيتهم في قالب أدبي وإبداعي.

وهذه الحكايات الشفاهية المحولة إلى كتابة سجينة، كلها تعبر عن الذات زمن الإعتقال إنَّها تؤرخ للألم، والقهر والمعاناة، والإذلال، وتحطيم المعنويات، والتمسك بالحياة.

4-اليوميات السجينة والمذكرات:

اليوميات السجينة تعبر هي أيضًا كتبات فاضحة لمرحلة أو لسنوات رصاصية،كما جاء فيها من صور المعاناة والتعذيب والقهر،مثل كتابة الميلودي القطيبي(سرير الموت أو يوميات الإعتقال السياسي)،وكتابة محمد الرايس (الزنزانة رقم10)

وكتابة الدكتورة نوال السعداوي(مذكراتي في سجن النساء)،وغيرها من الكتابات السجنية.

والكتابة السجنية أو كتابة الإعتقال السياسي حروم تسليط الضوء على مرحلة من الماضي المرير والمظلم، وتقديم بعض الحقيقة للإنتهاكات الكبيرة لحقوق الإنسان والمواطنة، والحرية العامة.

وتمتاز هذه الكتابة بصدق التجربة،والنزاهة ، والصراحة والمسؤولية والفنية.ومن تم أصبحت فضحًا لآليات التعذيب والقهر والقمع، التي سادت مجتمعنا العربي، وتعرية لأماكن الإعتقال السري.[1]

[1] محمد داني، الرواية السجنية العربية،دراسة نقدية (ط.1)، 2016،ص:من27إلى 31.

الفصل الثاني

عناصر البنيَّة الرّوائيَّة في أدب السجون

"رواية القوقعة"

* توثيق موجز لصاحب الرّواية

* المبحث الأول:الشخصية

*المبحث الثاني:الحدث الروائي

*المبحث الثالث:المكان في السجن

1–توثيق موجز لصاحب الرواية:

هو كاتب سوري من مدينة جرابلس(سوريا) الواقعة في ريف محافظة حلب على الحدود مع تركيا ولد عام 1948م،أي في العام الذي حصلت فيه ما يعرف بالنكبة الفلسطينية وهي احتلال الصهاينة فلسطين، واحكام سيطرتهم وإعلانها رسميًا دولة اسرائيل شارك في العمل السياسي منذ أن كان في سن المراهقة، وبسبب ذلك تعرض للسجن مرتين وعند إطلاق سراحه، درس الفنون والإخراج السينمائي في فرنسا، وعندما عاد إلى دمشق اعتقل والغالب في سبب ذلك هو الإنتباه في انضمامه لحزب الشيوعي الذي كان محظورًا في سوريا، وكان اعتقاله عام 1982م وخرج من السجن عام1994م، وقد كتب تصور إلى حدٍّ كبير ما حدث معه مع غيره في سجن تدمر الشهير، وكان اسم روايته(رواية القوقعة)من أعماله.

-رقص القبور:السرداب، صدرت عام 2016م[1].

-رواية القوقعة:(2008م):هي رواية التي كانت الأكثر مبيعًا في معرض الكتاب في دبي، وهي التي تحولت إلى أكثر الروايات السورية المقروءة، ترجمت لعدة لغات، وهنا في توقيع ترجمتها للغة الإسبانية في البيت العربي في مدريد.

[1]– نبذة عن رواية القوقعة: سطور، كتب وروايات (أدب)sotor.com

2–الفضاء النَّصي للرواية:

هوذلك الحيز الذي تشغله الكتابة وهو"يشكل بأبعاده مساحة تتحرك فيها رؤية القارئ، كما يقوم بتحديد طبيعة تعامل القارئ مع النَّص الحكائي وتوجيهه إلى فهمه فهمًا خاصًا، وهو بكل بساطة فضاء الكتابة الروائيَّة بإعتبارها طباعة"، وهو أيضًا:"فضاء مكاني غير أنَّه مكان محدود ولاعلاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان يتحرك فيه، على الأصح، عين القارئ".

أ–التصميم الداخلي للرواية:

تتضمن الرواية على 383 صفحة وهي الحجم المتوسط وقد قسمها الراوي إلى شهوروهي:(نسيان،تشرين الثاني،كانون الأول،آب،أيلول،كانون الثاني،شباط،آذار، آيار،تموز تشرين الأول، حزيران).

كما نلاحظ أنَّ الرواي قد ترك بعض البياض في صفحاته بعد كل شهر من هذه الشهور بالإضافة إلى توظيف لأنواع مختلفة من الكتابة كما وضف الكاتب اللهجة العامية كثيرًا في رواية

***الكتابة الأفقية من اليمين إلى اليسار**:هي المساحة التي تشغل النَّص الداخلي(أي الرواية)

***الكتابة العمودية**:وهي تتضمن على جميع المشاهد التي بين الشخصيات من بينها:

–الله يبارك فيكم، عقبال عندكم.

–مبروك أبو عبد الله، كيف الأهل.[1]

–سقط...سقط...سقط.

–يعيش الرئيس المفدى.

يعيش يعيش...يعيش

وتبقى العصا مغروزة بين اليتي الجنة تتأرجح.[2]

ب–التصميم الخارجي للرواية:

***العنوان:**

يتخذ الروائي فرعين من العناوين العنوان الرئيسي وهو (القوقعة) وعنوان ثانوي(يوميات متلصص) فأول ما يلفت انتباه القارئ هو عنوانها الذي يثبت فيها رغبة جامحة لمعرفة محتواها.

فإسم الرواية بشكل عام ينحدر من دلالة مكانية، سجن أشبه بالقوقعة الصلبة المبتنة التي ضربت على مَنْ فيها قلب الصحراء المترامية المنبوذة.

ومعنى القوقعة في نظر مصطفى خليفة هي الرعب والارهاب التي كان يقوم به النِّظام من كان في سجن تدمر، بشرف النظر من خلال تغب زنزانته إلى باحة سجن تدمر.

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:186.

[2] مرجع نفسه، ص:228.

***الشكل الخارجي للرواية:**

تظهر الرواية بشكل طولي وغلافها يحتوي على بعض الرسومات التي تمثل نافذة سجن ورجل ندب في وجهه،قُسم غلاف إلى نصفين من الألوان(الأزرق الداكن والأبيض)يجده طولاً(20سم)وعرضًا(13سم)،ويدل على أنَّ غلاف الرواية يتربع على مقياس متوسط (20*14).

كما يظهر اسم الكاتب(مصطفى خليفة) أعلى الصفحة بخط مميز ومسيقم وكتب تحب في الجانب الأيسر "دار الآداب"، أي دار النشر بشكل متوسط باللون الأزرق، أمَّا بالنسبة للجانب الأخر للرواية (ظهر الرواية) لخص الكاتب أحداث الرواية في إيجاز شديد لا يتعدى 04 أسطر.

تلخيص الرواية:

تبدأ الرواية بمشهد توديع في إحدى المطارات الفرنسية بين بطل الرواية وصديقته، والبطل شاب سوري اسمه (موسى) من الديانات المسيحية أو النصرانية درس الإخراج السينمائي في فرنسا، قرر أن يعود لبلده سوريا لإبراز سنها وإثبات جودة وطنه،وفور وصوله إلى مطار دمشق(العاصمة)،يُقبض عليه على يد المخابرات السوريَّة ووضعه في السجن الصحراوي، حيث لا يسري خلالها ما هي تهمته وما هو ذنبه ولماذا اعتقل؟ وبعدها بدأت جولة التعذيب والتحقيق في المعتقلات، كانت الصدمة المفاجئة له حيث علم أنَّه تم سجنه لأنه منتمي لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة في سوريا، بعد بضعة أيام، يحاول خلالها أن يقنع المحقيقين، أو بمعنى أصح الجلاديين، بأنَّه مسيحي، بل وملحد أيضًا، فكيف يكون عضوًا بالإخوان المسلمين، وأنَّه لابد من وجود خطأ ما.ولكن كل ذلك لم يفد

بشيء، إذ تم ترحيله إلى سجن تدمر، وبمجرد وصوله إلى السجن، بدأت حفلة استقبال الدفعة الجديدة من السجناء، المكونة من 91 شخصًا، ونتج عن الحفلة وفاة 13 منهم وأصيب اثنان بالشلل دائم، وصار أحدهم أعمى لتلقيه ضربة على عينيه...كرر البطل محاولته إقناع الجلادين أنَّه مسيحي ولكن تصريحه جعلهم يكثرون من ضربة،وسبه بالشتائم بالبصق عليه،إذ اعتبر المساعدان جريمته مزدوجة.

كان يمارس عليه داخل السجن الكثير من العنف والتعذيب الممنهج بحق المعتقلين وهم في معظمهم من الإسلامين، حيث كان سجن تدمر شبه مخصص لتلك الفئة من المعارضة السورية، على عكس الشيوعين، فالتعذيب في السجن تدمر هو القاعدة وليس الإستثناء.

تعرض الشاب للبصق داخل فمه من قبل أحد السجانين، وأجبر على ابتلاع المخاط فخلال فترة سجنه تعرض أيضًا لأهوال من العذاب بالإضافة إلى رفض أغلبية المسجونين.

التعامل معه كونه أعلن أنَّ ملحدًا أثناء التعذيب، فيكون هناك تحبط في كونه ملحدًا أو مسيحيًا لذلك ينعزل عن الآخرين وينتمي حوله نفسه وعاش طوال فترة سجنه داخل القوقعة، وأخذ يتلصص من خلال قوقعته تلك على باقي المساجين داخل المهجع، ويتلصص أيضا على ما يجري في احدى ساحات السجن من تنفيذ لإعدامات ميدانية وغيرها من الأحداث وذلك من خلال فتحة في الحائط المجاورة للموضع الذي كان ينام فيه داخل المهجع، حتى أصبح يشتاق للكلام، ولكن سرعان ما وجد

بطل الرواية رفيقًا له في نفس المهجع يدعى نسيم والذي درس هو الأخر في فرنسا حتى أصبحوا أصدقاء يتكلمون الفرنسية ويغنون يتشاركون كل شيء.

وفي نهاية الرواية يتم ترحيل البطل إلى فرع أمني في العاصمة ليكتشف أن خاله الذي ينتمي للحزب الشيوعي أصبح وزيرًا يحاول أن يساهم في الإفراج عنه، وتنقل بين عدة أفرع أمنية، واكتشف أن سبب توقيفه في المطار منذ ما يقرب من ثلاثة عشر 31 عامًا هو تقرير كتب عنه من أحد الأشخاص أثناء تواجده في فرنسا.

خرج البطل بعد 13 عامًا قضاها في ذلك السجن ليصدم بقرينه عن ذلك العالم وعدم تفهمه له أصبح شخصًا منعزلاً يشرب الكحول يوميًا، ليبتعد على الواقع من دون أن يحمل أي رغبة بشيء حتى رغبة التلصص التي أدمتها في السجن انقضت بعد ضياع سنتين من عمره معذبًا ومظلومًا، وبعد فترة لحقه نسيم رفيق المهجع فذهب للقائه في مدينته الساحلية ليتجر نسيم من فوق سطح البناية التي يقطن بها ويقول لرفيقه أنَّه يهديه موته.

المبحث الأول:الشخصية

للشخصية أهمية ودور أساسي يوازي أهمية الحدث، فهي وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، وتبرز من خلالها ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، كما أنَّها تكشف عن الصّلات بين الملامح الفرديَّة والقضايا العامة التي تتناولها الرواية،فالرواية هي وصف لطباع الشخصيات التي تشكل الأحداث وتمهد لها، وللشخصية أنواع، "إذ قسمت إلى شخصيَّات رئيسية أو محورية، وشخصيات ثانوية ومكثفة بوظيفة مرحليَّة.[1] فالشخصية الرئيسية أو كما يسميها البعض النَّامية تتطور وتنمو وتتغير أحوالها، مع تتابع الأحداث وتطورها. في حين أنَّ الشخصية الثانويَّة، والتي سمَّاها بعضهم بالمسطحة أو الثابتة تقريبًا، فتستمر على حالها في الرّواية غالبًا.ذلك لأنَّ تفاعلها مع الأحداث بسيط.[2]

وعند دراسة الشخصية لابد من الإحاطة بأمور عدة أهمها:ملامح الشخصية الخارجيَّة تلك الملامح التي تركز على بنيته الشخصية الجسديَّة والمظهر العام والسّلوك، كذلك لابّد من دراسة ملامح الشخصية الداخلية، والمقصود بها ما يفتعل بداخلها من مشاعر وأحاسيس وما يقودها من فكر

[1] حسن البحراوي، بنية الشكل الرّوائي، ص:215.

[2] ينظر: خليل الموسى، التحولات النَّفسية في الشخصية الروائيَّة مجلة المعرفة،العدد395، ص:115.

واتجاهات والصّراع الذي ينشأ عن هذه الإتجاهات وتلك المشاعر في داخله، إضافة إلى ذلك لابّد من معرفة ملامح الشخصيَّة الإجتماعية وعلاقتها مع الآخر ومدى تأثيرها فيه وتأثرها به،إيجابيًا وسلبيًا.[1]

أولاً:شخصية البطل(الشخصية الرئيسية)

***شخصيّة موسى(القوقعة)**

هناك قضايا متعددة شغلت بال البطل في رواية السجن العربي منها قضايا الأمن والإستقرار والأزمات الإجتماعية والإقتصادية والعلاقة بالأنظمة الحاكمة.[2] فالبطل هنا لا يجرؤ على النقد أو السخرية داخل حدود السلطة الحاكمة، وذلك بسبب غياب الأمن وحرية التعبير،[3] فبطل القوقعة "موسى" تمتع بحرية مطلقة في المجتمع الفرنسي، حرية كانت تُتيح له إطلاق النِّكات والتّهكم والسّخرية على نظام الحكم في بلاده، لكنَّه سرعان ما دفع ثمن ذلك حال وصوله إلى مطار بلده.

وتنفرد شخصية موسى عن بقية السّجناء معه بسبب كونه مسيحيًا ملحدًا، يودع السجن تحت تهمة الإنتماء للإخوان المسلمين.فالبطل هو ذلك الشّاب المتفتح الذي أمضى كثير من حياته في فرنسا يدرس الإخراج السّيميائي ولما قرر العودة إلى وطنه قبض عليه بتهمة مستحيلة،إذ كانت تتنافى تلك التهمة مع دينه وفكره، وقد حاول أكثر من مرة أن يشرح ذلك لسجانيه، إلاَّ أنهم تصامّوا عنه وردّوا بالعنف والتَّنكيل والإضطهاد الجسدي والنفسي، وتكتمل المأساة لبطل الروايَّة عندما يجابه بعداء

[1] ينظر:علي عباس العنوان،الرؤية المأساوية في الرواية العراقية،مجلة فصول، العدد04، ص:103.

[2] ينظر:حسن عليان، البطل في الرّواية العربية في بلاد الشام، ص:42.

[3] المرجع نفسه، ص:50.

مشابه وإضطهاد من المسجونين الذين راحو يفرضون عليه عزلة ، ومحرّمون عليه الكلام ويقاطعونه مدّة طويلة من الزمن فهو عداء مزدوج من السّجان والسّجناء، وقع البطل نتيجته بين مطرقة الشّرطة ونسيان الإخوان.

كما تفرد موسى عن غيره من السّجناء أنَّه كان يتلصص إلى خارج السّجن من خلال فتحه في الحائط إذ تسبّب العنف في قفل الأبواب بسقوط قطعة من الإسمنت في الجدار،لتتيح له رؤية ما يحصل خارج السّجن كالإعدامات والعقوبات والعالم الخارجي، فهو في الداخل ويتلصص على الخارج، ثم لتأتي المفارقة لاحقًا عندما يتحرر من السجن فلا يستطيع استيعاب الواقع، ولا ينجح في مخالطة الناس أو التّنعم بالحرية التي طالما حلم بها في السجن، فيهرب من ذلك الواقع ويغلق كل منافذه ويتوقع إلى داخله رافضًا ما يحيط به، محيطًا من كل شيء، واصفًا كل ما يحيط به بالخنسة والوضاعة والغثاثة،[1] يشعر بالوحشة والغربة أثناء حضور الناس والأقارب يقول:" هل سأحمل سجني معي إلى القبر"؟[2]

ويمكن أن نعد شخصية موسى هي شخصية البطل المغترب عن ذاته وعن الأخر، فالاغتراب هو ظاهرة تتشكل نتيجة توافر شروط معينة بمجتمع معين،[3] فهذه العزلة التي فرضت عليه حرمته من أن يكون مشاركًا وفاعلاً داخل إطار مجتمعه، وهو مجتمع السّجن، فلم يستطيع أن يحقق ذاته بل ترك

[1] ينظر:مصطفى خليفة، القوقعة، ص:383.

[2] المصدر نفسه، ص:380.

[3] ينظر: أحمد أبوزيد، الإغتراب، مجلة عالم الفكر، العدد01، ص:05.

السّاحة مكرها، وانسحب داخل نفسه، واكتفى بالسَّمع والتلصص وهرب إلى أحلامه التي لا يطلع عليها أحد وتبدو مظاهر هذا الإغتراب في بعض عباراته كتساؤله بين الحين والأخر من أتا؟هل أنا؟أنا؟وإلى أين؟[1] فهذا التساؤل يفسر شعوره بالضياع والضالة والإحباط الناجم عن النبذ ويقول الإغتراب إلى العزلة ، فالعزلة هي التي أدت أيضًا إلى الضياع النَّفسي للبطل والسبّب شعوره بانعدام فاعلية الدّوافع إلى تحدو الإنسان إلى التمردوالثورة، [2]كما تفرض العزلة أحيانًا على البطل من جانب المجتمع الذي يعيش فيه لدوافع كثيرة كالإنغلاق والتعصب.[3]

إنّ طول المدة التي مكنها البطل في السجن جعلته يشعر بأنَّ الحياة الإجتماعية هنك ما هي إلاَّ حياة مجنونة ترتع فيها الأشباح البشريَّة.ممّا ولد في نفسه الخوف والضّياع كما ولد لديه الحيرة والإضطراب.[4]وفي ضوء هذه الرؤية المضطربة للحياة والإنسان والزمن فقدت شخصيات الرواية الأمل بالحياة وبالأخرين في ظل المجتمع القائم، ولم تبدأ أي مقاومة لعوامل السلب فيه.

وتولد عن هذه السّلبية في ذهنها رؤية الأخرين مجرد أشباح قادتها إلى الإستلام لفكرة اليأس من الحياة التي فجرت فكرة تمني الموت.[5]

---

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:237.

[2] ينظر:حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام، ص:120.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:120.

[4] ينظر:حسن عليّان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام، ص:105.

[5] ينظر:المرجع نفسه، ص:107.

هذا الحال البائس الذي يجسده البطل تحديدًا والسجناء المحيطون به، مردّه ظروف السجن القاسية وفقدان عنصر الزّمن، بالإضافة إلى فقدان العلاقات الإنسانيَّة السليمة،[1]الأمر الذي دفعه إلى استخدام لغة مصطنعة لا تعبر عن ثقافته الغربيّة ولا وضعه الإجتماعي، فمثلاً وجد نفسه في ظل تلك الظروف شخصًا أخر لا يعرفه، كموقفه في مواجهة أبي القعقاع وحديثه بالفصحى وبالأسلوب الذي ينتهجه جماعة الإخوان في السّجن،يقول:" لم أكن خطيبًا يومًا من الأيام، ولم أقف أبدًا لأتكلم أمام مئات العيون... لم أدري لماذا كنت أخاطبهم بالفصحى".[2]

ثانيًا:الشخصية المساندة للبطل

تشكل الشخصية الثانوية المساعد الرئيسي للشخصية الرئيسية وتتميز بالوضوح والبساطة فهي المرافق الأساسية لها هذا لأجل سير الأحداث وتوازنها " فهي التي تضيء الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية، أو تكون أمينة سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ،[3]ومهمة هذه الشخصيات(المساندة) نقل الصورة المكتملة وإتمام سير أحداث الرواية من خلال توضيح أهم سماتها وأثرها في حياة البطل.

[1] المرجع نفسه، ص:84.

[2] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:217.

[3] عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النَّص الأدبي،ط3، دار الفكر، عمان، الأردن، 2000م، ص:135.

القوقعة:

ظهر دور هذه الشخصية في رواية القوقعة بعد أن قضى السجين أكثر من نصف إقامته في السجن لا ينطق كلمة، وكان دخول شخصية أبي القعقاع الذي كان مصرًا على قتله سببًا لإنفتاح البطل على بقية الشخصيَّات، وخروجه من قوقعته بعد عشر سنوات تقريبًا. ولكن في بداية سجنه نلحظ حضور بعض الشخصيات التي تركت فيه أثرًا، مثل شخصية الشيخ محمود الذي دافع عنه لما حاول بعض أعضاء تنظيم الإخوان المسلمين المتشددّين قتله، ولكنَّه سرعان ما قتل ضمن الأربعة عشر قتيلاً الذين أعدمهم مدير السّجن ترويعًا للسّجناء.

وتطالعنا شخصية الدكتور زاهي الذي يدين له موسى بحياته، فقد سانده ساعة مرضه ودافع عنه في وجه المتشددّين وحال دون قتله، إلاَّ أنَّه أصيب بعدوى مرض السّحايا،ومات بعد مرور سنين على سجن البطل، وقد ذلك في نفس موسى أثرًا كبيرًا، كان الدكتور زاهي يمتاز بقوة الشخصيَّة إذ كان ضابطًا قديمًا في الجيش، قويًا وصارمًا ورزينًا،[1] يصف الرّاوي تأثير فقد زاهى عليه قائلاً:" مشيت إلى حيث يرق زاهي، ركعت إلى جانبه ورفعت يده إلى جبيني، وأجهشت بالبكاء بصوت عالٍ، بكيت بكاء مرًا بموته أحسست أنيّ قد فقدت أخر سندلي هناك أصبحت عاريًا، زاهي هو الوحيد الذي

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:105.

أستطيع النَّظر إلى عينيه مباشرة، كنت أشعر أنَّ هناك تفاهمًا خفيًّا بيني وبينه، وطالما قرأت في عينيه أنَّه لن يتخلى عنّي زاهي كان إنسانًا كبيرًا ، بكيت وبكيت".[1]

وشخصية يوسف المجنون، أو الذي جن مما رآه إذ تعكس هذه الشخصية مقدار الضرر الذي لحق ببعض السجناء وأوصلهم إلى الجنون والهذيان بألفاظ لها علاقة الدولة(القيادة والنظام والسجاجين) كان يوسف أول من اقتحم على البطل قوقعته وأخذ يحدثه أحاديث عشوائية أخرجت موسى من عزلته لكن سرعان ما حال بعض أفراد التنظيم السجناء دون وصول يوسف إلى موسى.

وتأتي شخصية أبي محمد رئيس المهج الذي قتل تحت التعذيب بسبب تلفظه بكلمة"شهيد" تلك الشخصية التي تركب في نفس موسى أثرًا كبيرًا لما اتسمت به من عزة نفس وإباء إذ كان أحد الشخصيات التي واجهت عصا الجلاء ومات في أثناء المواجهة بسبب عدم تكافؤ الخصمين إذ تحدى عددًا كبيرًا من قوات الشرطة في ساحة السّجن، ولما أيقن أنّه مقتول لامحالة ،" قرّر ألا يموت موتًا سهلاً ورخيصًا...والكثرة غلبت الشجاعة سقط أبو محمد أرضًا، الرقيب والعنصر الأخر ماتا، أبو محمد مات...من الأشياء التي لا يمكن أن أنساها شجاعة أبو محمد في الساحة السادسة.[2]

وتأتي شخصية أبي حسين خلفًا لأبي محمد في رئاسة المهجع، وهو شخصية ديناميكية تتسم بالذكاء وبعد النظر، وشخصية الدكتور سمير الذي استطاع أن يتواصل مع السجان وهو مفتوح

[1] المصدر نفسه، ص:110.

[2] لمصطفى خليفة، القوقعة، ص:137.

العينين،وأن يتجول داخل البحث لتصبح لديه معلومات كثيرة عن الوضع وعن السجناء كما استطاع أن يحقق بعض الانجازات.

وتعد شخصية نسيم الشخصية المساعدة الأبرز في أحداث الرواية، فهو الذي ترك أكبر الأثر في نفس موسى، كان يتبادلان الأحاديث بالفرنسية، ويمضيان أكثر الوقت سويًا يلعبان الشطرنج ويتحدثان عن الفن وفرنسا والذكريات، شخصية نسيم كانت بمثابة الخلاص لموسى، كانت كما وصفها "أكبر من أحلامي وأمنياتي" انتشلني مما أنا فيه، بساطته ورقته جعلتاني أراه أمامي ساطعًا نقيًا سطوع الصفحة بيضاء تحت أنوار قوية، دخل إلى روحي خلال أيام قليلة صهرها، وعجنها بروحه وجسده، اتحدّ به".[1]

ولكن سرعان ماكان انتحار نسيم محطمًا وقاتلاً لوح موسى إذ فجر الحزن في داخله "اليوم انتحر صديقي وتوأم روحي انتحر أمامي وأهداني موته، هل يمكن أن يكون الموت هدية...إنَّ الإنسان لا يموت دفعة واحدة كلما مات له قريب أو صديق، فإنَّ الجزء الذي كان يحتله هذا الصديق أو القريب يموت في نفس هذا الإنسان، وأنا أجهل مقبرة كبيرة في داخلي، تفتح هذه القبور أبوابها ليلاً، ينظر إلى نزلاؤها،يحادثونني ويعاتبونني".[2]

[1] المصدر نفسه، ص:237.

[2] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:377.

ثالثًا:الشخصية المعادية

شخصية داخل السجن:

***الشخصية المتشدّدة(أبو القعقاع):**

شخصية أبي القعقاع في القوقعة،أحد أمراء الجماعة الإسلامية المتشددة، تنظيم الإخوان المسلمين وكان ممن خططوا ونفدوا لعدد من العمليات الجريئة التي ألقت الرعب في قلوب رجال الأمن والمخابرات، ولكنه كان جبانًا، إذ ذكر البعضاعترافاته السريعة تحت التعذيب، كان شديد الإدلاء بنفسه، أثار زوبعة في المهجع وتوترًا بسبب تعصبه واستطاع أن يكتسب عداد الجميع بسبب تحديه ومجالاته وضاويه المتعصبة التي تنافى مع جوه الدين وتعاليمه، ولكن دخول هذه الشخصية كان سبقًا ذا حدين، فقد كان سببًا في خروج موسى من قوقعته، إذ دفعه للتكلم بعد صمت طويل عام عشر سنوات، توجهت بنظري ويدي إلى أبي القعقاع وصرحت بصوت قوي أنا نفسي استنكرته، قلت: يا أنا القعقاع تريد أن تقتلني ؟ تفضل ها أنا ذا عاريًا أمامك تريد أن تقتلني بصفتك وكيلاً عن الله في الأرض؟ أنت تريد قتلي لإرضاء شهرة القتل لديك، أرجو أن لاتكون شخصًا حاقد موتورًا،[1] ياجماعة أكثر من عشر سنوات حكمتهم علي بالسّكون، لقد سمعنكم كثيرًا والآن واسمعوني لدقائق فقط...[2]

[1] مصطفى خليفة، القوقعة،، ص:217.

[2] المصدر نفسه، ص:218.

هذا السجال والخلاف الذي قام بينهم كان سببًا في كسر عزلة البطل،"فكنت في سري لو أنَّ أبا القعقاع أتى من زمن طويل".[1]

وأبو القعقاع واحد من أفراد جماعة الإخوان المسلمين الذين تشابهت شخصيات أغلبهم مع شخصية، إذ كانوا يكنون العداء لموسى، ويتجنبون الإقتراب منه، ويتهمونه بالكفر والنَّجاسة ويودون قتله، يصف أحدهم وقد طرده من جانب جثة الكتور زاهي يقول:"لكزني أحهم بقدمه، رفعت رأسي ومن خلال الدّموع، رأيت أحدهم مرّ على أسنانه وقال:قوم ولاك، لا تنحبس الشهداء".[2]

[1] المصدر نفسه، ص:219.

[2] المصدر نفسه، ص:110.

المبحث الثاني:الحدث الروائي

أولاً:الإفتتاحية

تعد افتتاحية الرّواية الطريق الممهد للدخول إلى مضمونها ومحتواها، وأخذ فكرة عامة عن أبرز شخصياتها، فهي تتوقف بداية على وصف المكان والحديث الزمني الجزئي الذي يعد مهمًا في حياة الشخصية، إذ تترتب عليه فيما بعد الأحداث كافة، ويختلف الروائيون في طرائق افتتاحياتهم ومدة الزمن التي تلزمهم لإدخال القارئ إلى صلب الحدث الرئيس، فمنهم من يستغرق زمنًا مختصرًا مكثفًا بالوصف والسرعة للدخول إلى جو الحدث، ومنهم من يسترسل بالوصف الدقيق في الأحداث التي تسبق الحدث الرئيس.[1]

فهي رواية القوقعة هنا يعطي الكاتب فكرة واضحة ومختصرة عن أبرز عناصر الرواية المكان والزمان والحدث والشخصية المحورية، في حدود صفحتين فقط، ثم يرجع بعدها إلى بداية الأحداث ليتبع أسلوب التسلسل، معتمدًا في ترتيب الأحداث وعنونتها على التقويم الزمني، وتتطور أحداث الرواية وتنمو مع سير أيامه وشهوره وسنواته،فأحداث الرواية مؤطرة بإطار زمني واضح ومحدد، بيد أنَّه من لحظة عودته من فرنسا ووداع سوزان واقتياده من قبل عنصرين...[2]

[1] شرين محمد حسن سليمان، مذكرة ماجيستر دراسة تحليلية لنماذج روائيَّة من أدب السجون، 2018م، ص:42.
[2] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:07.

وبعد الإفتتاحية، يدخل الروائي إلى صلب الحدث، أو الحدث الرئيس، بعد أن يكون قد أخذ فكرة عامة وتصورًا شاملاً قبل أن تصير الأحداث، بعدها شغل تجربة أكثر داخل تفاصيل المكان الأحداث والشخصيات.

ثانيًا:الحدث المخيف:

إنَّ الواقع السلبي الذي تحياه الشخصيات داخل السجن، والصراع بينها وبين القمة المعادية "السجان" قد جعل أحداث الرواية تضج بكل أشكال العنف والشرور والتعذيب والقلق وامتهان الكرامة، وقد عكست أحداث التعذيب المخيفة أثناء التحقيق صورًا قاسية لذلك الواقع، فهي تشغل حيزًا واسعًا من مساحة الحدث الروائي، ذلك بسبب عمق الأثر الذي خلفته في السجن والذي يبدو جليًا في تبدل طباعه وقناعاته وملامحه فشتان مابين شخصية السجين وبعده إذ يؤوب بعد قضاء فترة حكمه إنسانًا أخر غير الذي كان، تتبدل نظرته للحياة والواقع والناس، كما تبدل ملامح شخصيته وشكله، فربما حول السجن السجين الذي اعتاد رفاهية العيش إلى شخص أخر قوي يواجه أقصى الظروف وأغلطها، بالإضافة إلى تغيير الشكل، كسرعة ظهور التجاعيد والشيب ونشوء عظام الوجه وغيره...

ففي روايتنا (القوقعة)، كل فصل ألوان وأشكال من الأحداث المخيفة التي تصرخ فيها الكلمات بمعان مجنونة، تستنزف قدرة القارئ على التحمل وتعرض أمامه أقصى ما استعمله البشر من وسائل التعذيب والعنف، كل أحداث هذه التجربة مخيفة ومرعية فعلى سبيل المثال، أبسط تصرف من

السجين داخل سجن تدمر كان يكلفه حياته،فالإعدامات الميدانية المتكررة بشكل شبه يومي، كانت تتم بالخفاء وبدون محاكات، وأشكال القمع التي مارسها السّجان شكلت الجزء الأكبر من أحداث الرواية فهي ليست حدثًا واحدًا إنَّما أحداث كثيرة غلبت على الطابع العام للحدث الروائي فيها وسيظهر كثير من ملامح هذه الأحداث المرعبة في الفصول اللاحقة.

ثالثًا:الزمن الروائي

إذا أردنا الحديث عن الزمن في الرواية فنحن بحاجة إلى الإلمام بأنواع الزمن وأبعاده، يعد الزمن" من أكثر هواجس القرن العشرين وقضاياه بروزًا في الدراسات الأدبية والنقدية إذ شغل بعض الكتاب والنقاد، أنفسهم بمفهوم الزمن الروائي ومستوياته وتجلياته"

وعلى اعتبار أنَّ "الزمن يمثل محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها كما هو محور الحياة ونسيجها الرّواية فن الحياة، فالأدب مثل الموسيقى فن زماني لأن الزمان هو وسيط الرواية كما هو وسيط الحياة"،[1]فالزمن نوعان الزمن الخارجي والزمن الداخلي وله بعدان الزمن الإنساني النفسي والزمن الفلكي الطبيعي.

[1] ينظر: د.صالح دلعة، اشكالية الزمن الروائي، موقع إلكتروني: .bttps://Startimes.com/ ?t=26742335

فهي أي رواية هناك زمنان: زمان داخل النَّص، زمن خارج النَّص وهو زمن الكتابة ، وهنا لابد من الإلمام بالعصر الذي عاشه أو يعيشه الرّوائي، لأنَّ الفاصل بين التجربة والكتابة مرتبط بتطور دلالة المفردات وتغيير نمط الحياة وطرق التفكير.[1]

فرواية القوقعة لمصطفى خليفة، أرخن بشجاعة لحقبة خاف الكثيرون من الكتابة عنها وكشف تفاصليها، حقبة مندثرة من التاريخ الحديث لسوريا، عرت النظام السوري القائم فترة الثمانينيات من القرن المنصرم في أثناء الصراع المحتدم بين النظام السوري وجماعة الإخوان المسلمين.[2]

وقد بدأها الكاتب بتحديد تاريخ عودته إلى الوطن، وهو تاريخ اعتقاله في المطار في 20 نيسان من ثمانينيات القرن الماضي، ليقضي بعدها ثلاثة عشر عامًا في السجن تدمر السجن السوري الصحراوي.

[1] حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربيَّة، ص:23.

[2] ينظر هنيبعل، القوقعة، من عتمة السجون السورية إلى الضوء، موقع إلكتروني
https://hanibaael.wor press.com./2010/05/26 القوقعة، من عتمة السجون،السورية إلى الضوء

المبحث الثالث:المكان في السجن

المكان الروائي:

يعد المكان أهم المظاهر الجمالية في الرواية بشكل عام وفي أدب السجون يشكل خاص،"فالعمل الأدبي حين يفقد المكانية، فإنَّه يفقد خصوصيته، وبالتالي أصالته"،[1] إنَّ المكان الروائي يقوم على اعتباره رمزًا لغويًا [2]يحمل كثيرًا من الدّلالات الجمالية والوظائف الفنية ،فإنَّه في روايات أدب السجون لا يحسن النَّظر إليه منفصلاً عن الأشكال والأحجام والمساحات والمناطق والألوان المختلفة، وهذا يدل على ارتباط اللغة بأصولها الحسية، بفعل ما تتوافر عليه من أبعاد فيزيقيَّة فالمكان الروائي وفق آراء الباحثين هو مكان قائم بذاته، له خصائصه وسماته ويمثل "العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرّواية بعضها ببعض وهو الذي جسم الأشخاص والأحداث الروائيَّة في العمق والمكان بلد السّرد قبل أن تلده الأحداث الرّوائية وبشكل أعمق وأكثر أثرًا.[3]

أولاً: أنماط المكان

أ–المكان الهندسي:يظهر هذا النّمط بقوة في روايات أدب السجون"فهو المكان الذي تعرضه الرّواية بأبعاده الخارجية، ويكون خاليًا من الأبعاد التفصيلية، ويلتزم فيه الرّوائي بصفة حياد المهندس.[4]

---

[1] غاستون باشلار،جماليات المكان، ص:

[2] عثمان بدري، بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ، ص:94.

[3] يسيت النصير، إشكالية المكان في النَّص الأدبي، ص:05.

[4] شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص:13.

فموسى في (القوقعة) يصف السجن الأول الذي أودع فيه فيقول:"علمت بعد قليل من خلال عمليّة التفقد والعدِّ، أننا كنا ستة وثمانين رجلاً، عانيت سقف الغرفة وقذرت أن مساحتها لا تزيد عن خمسة وعشرين مترًا مربعًا،[1] ثم يعود ليصف السجن الصحراوي الذي أمضى فيه ممدَّة سجنه،يقول"يبلغ

طول المهجع خمسة عشر مترًا، وعرضه حوالي سنة أمتار، باب حديدي أسود في أعلى النافذة خمسين سنتيمترًا وصولها حوالي المتر، أهم ما في المهجع هو الفتحة السّقفيَّة وهي فتحة في منتصف السقف طولها أربعة أمتار وعرضها متران، مسلحة أيضًا بقضبان حديدية متينة، هذه الفتحة يسمونها الشرافة تتيح للحراس المسلح ببندقية، والذي يقف على السطح المهجع أن يراقب ويعاين كل ما يجري داخل المهجع، وعلى مد مدار ساعات الليل والنهار..."[2]

ب–المكان الجغرافي:ويقصد به كل الأشكال المكانية المستخدمة في الرواية، كالصحاري والمدن والجبال والسهول والسجن وغيرها من الأماكن التي يستعين بها الكاتب في بناء نصه السردي، ففي روايات أدب السجون بدت جرأة الرّواي جلية في سرد التفاصيل، إذْ تحرر من خوفه من السّلطات نتيجة ظروف السجن القاسيَّة التي مرّ بها.

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:21.

[2] المصدر نفسه، ص:60.

فجغرافية المكان بدت واضحة جدًا في رواية (القوقعة)، رغم خطورة التصريح في ظل النظام القائم، إذ بدأت رحلة عذاب الراوي منذ وصوله عاصمة بلده دمشق ومن هنالك اقتيد إلى السجن المركزي في العاصمة، ثم رحل إلى السجن الصحراوي تدمر شمالاً وبعدها إلى السجن الجبلي،يقول:"توكل على الله...فالسجن الجبلي انطلق المايكروبا باتجاه الغرب أو الشمال الغربي صعودًا، خلال أقل من ساعة وصلنا بين الجبال في مكان منعزل بناء حديث ضخم يتألف من أربعة طوابق ومئات النوافذ إنَّه السجن الجبلي".[1]

ثانيًا:المكان المغلق والمفتوح

أشار الباحثون إلى نوعين من الأمكنة في الفن الروائي،المكان المغلق والمكان المفتوح، فالمكان هو أحد المكونات الأساسية التي تبنى الرواية وتعطيه شكلاً حيويًا.

أ–المكان المغلق:

1–فضاء السجن:السجن كمكان يأخذ من سمات المكان الداخلي(المغلق) الذي يتسم بالضيق والمحدودية، المكان، المعادي الذي يؤثر سلبيًا في نفسية فاطنيه فهو مكان يحاضر الذات ويمارس السجان طرقة وقهرة على نفسية المسجون وجسده وهو مكان شديد الإنغلاق، والإنغلاق هنا يفرض حالة من الحصار والإنعزال المطلق عن الحياة الطبيعية التي ينعم بها البشر.

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:322.

وهنا تظهر مسميات جديدة خاصة المكان كالمهجع" يبلغ طول المهجع خمسة عشر مترًا وعرضه حوالي ستة أمتار باب حديدي أسود في أعلى الجدران نواقذ صغيرة ملاصقة للسقف ومسلحة بقضبان حديدية سميكة لا يتجاوز عرض النافذة حسب سنتمترًا وطولها حوالي المتر".[1]

القوقعة:هو المكان الجديد الذي يحمل كل دلالات الإنغلاق حيث التقوقع على الذات بهدف الهروب نحوها المحيط الملئ بالمخاطر."كسلحفاة أحسّت بالخطر وانسحبت داخل قوقعتها، أجلس داخل قوقعتي...أتلصّص، أراقب، أسجل،وأنتظر فرجًا.[2]

2–فضاء الغرفة(الزانزانة):مكان محكم معاد للشخصية مجهز تتكون أداة عقاب الذات بمفرادتها المكانية التي تحط من قيمة قاطينها،"عاينت سقف الغرفة وقدرت أن مساحتها لا تزيد عن خمسة وعشرين مترًا مربعًا".[3]

[1] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:60.
[2] المرجع نفسه، ص:78.
[3] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:21.

3–فضاء غرفة التحقيق:غرفة التحقيق وهو المكان الذي يحاصر فيه بأسئلة المحققين المصحوبة بالتعذيب الجسدي والنفسي.

وقد رصت الرواية ألوانًا من التعذيب النفسي الذي يتم داخل هذه الغرفة لاقتناص الإعتراف."دفعة على ظهري، صفعة على رقبتي، يداي إلى الخلف،أسير مرغمًا،يرتطم رأسي بالجدار، أقف.

–ارفع يديك لفوق...ولك كلب

–أرفعُها

إرفع....يابن الشرموطة.[1]

4–الأبواب والأقفال:إنَّ الأبواب هي تغلق والمفاتيح وهي تفرع داخل الأقفال عند استقبال نزيل جديد أو مع حلول المساء بحيث نجد أنفسنا مع دلالة مفارقة فإذا كانت المفاتيح في الغرفة للنوم تعمل كوسيط لتحقيق الأمان الشخصي للناس عندما يغلقون عليهم بيوتهم طلبًا للنوم أو العزلة فإنَّها هنا في حالة السجن لا تصبح أداة يرجى من استعمالها لتشير على الذات أولا اختلاف بالنفس لِحرق القيود الإجتماعية الرذاعة...وإنَّما تتحول إلى ممارسة قهرية يعرضها قانون السجن لاماتة ذات السجين ولا جهاز عليها تدريجيًا".طوال ثلاثة عشر عامًا، لم أسمع مرة قرقعة المفتاح في الباب الحديدي إلاَّ

[1] مرجع نفسه، ص:14.

وأحسست أنَّ قلبي يكاد ينخلع لم أستطيع الإعتياد عليها."قرقع المفتاح في غير وقته، قفز رئيس المهجع في اللحظة التي انفتح فيها الباب".[1]"أبواب السجن،كلها حديدية وكلها سوداء".[2]

ب–المكان المفتوح:

كما تخللت في الرّواية بعض الأماكن المفتوحة في بداية الرّواية كامطار وكافتيريا،"جلست في كافتيريا مطار أورلي باريس".[3]

"وقفت على سلم الطائرة قليلاً أتملى أبنية المطار..."[4]

وتبقى رواية القوقعة مجالا مفتوحا لكلّ النقّاد والباحثين لدراستها بمقاربات لغوية، لسانيّة، أو أدبيّة فنيّة، أو أسلوبيّة نقديّة، أو سيميائيّة، أو تداوليّة وغيرها من نظريّات تحليل الخطاب المستجدّة والمستحدثة، وذلك لكشف كلّ الحجب عن عذابات السّجن، واحتقار الإنسان لأخيه الإنسان منذ الأزل إلى يومنا هذا.

[1] مرجع نفسه، ص:36.
[2] مرجع نفسه، ص:65.
[3] مصطفى خليفة، القوقعة، ص:07.
[4] مرجع نفسه، ص:11.

خاتمة

بعد دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من النتائج نوردها فيما يلي:

1-لقد شكل السجن في الرواية العربية هاجسًا قويًا لدى الأدباء، ودفعهم ذلك إلى الغوص في غمار التجربة السجنيّة.

2-تؤكد الرواية على أنَّ تجربة السجن الطويل وأشكال التعذيب والاضهاد والقهر السياسي أعجز من أن تقتل إرادة المثقفين وتكبحُ فكرهم.

3-الكتابة السجنيّة عامة والرواية السجينة بخاصة لها القدرة على طرح أزمات الواقع والصراعات الإيديولوجية؛ أصحابها يناضلون من أجل الحرية وإثبات الذات الإنسانيَّة.

4-استطاعت الكتابات الإبداعية أن تواكب التجربة المعاشة، وتتجاوز حدود التوصيفية وصولاً إلى ارتياد فضاءات سردية جديدة.

5-شكل هذا الأدب ميدانيًا خاصًا؛ له قاموسه وألفاظه الخاصة، كما احتوى على رسالة تربوية لها دورها المهم جدًا لتوعية القراء.

6-قدمت الرواية صورة شاملة وعميقة لواقع السجن وللواقع السياسي والاستبداد وأساليب القهر.

7-استطاع السجين المبدع أن يوثق حقائق كبيرة مهمة وخطيرة تحصل داخل أقبية التحقيق والسجون وتقف شاهدًا حيًا عليه.

وأخيرًا أرجو من الله مرة أخرى التوفيق في العمل، وأعتذر عما ورد في دراستي من أخطاء عن غير قصد.

قائمة المصادر والمراجع

-القــرآن الكـــريم.

المـــــــصادر:

-خليفة مصطفى، القوقعة(يوميات متلصص)،ط4،بيروت،دار الآداب للنشر والتوزيع،2014م.

الـــــــــمراجع:

1-باشلار،غاستون،جماليات المكان،ترجمة غالب هلسا،ط6،بيروت،المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر،2006م.

2-بدري،عثمان،بناء الشخصية في روايات نجيب محفوظ،ط1،لبنان،بيروت،دار الحداثة للطباعة والنشر1986م.

3-البحراوي حسن،بنية الشكل الروائي(الفضاء،الزمان،الشخصية)،ط1،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،1990م.

4-جاد الله،سلمان أبو سليم، من أجل تربية بحجم التحديات،أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية،مخطوطة1991،إصدار جمعية الأسرى والمحررين،حسام غزة،فلسطين2000/04/17

5-رضوى عاشور،أدب السجون،تحرير يوسف شعبان،الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ط)،القاهرة 2014م.

6-سماح إدريس،المتفق والسلطة ص19 نقلاً عن علي منصوري،البطل السجين في الرواية العربية المعاصرة،جامعة لخضر باتنة2007م/2008م.

7-سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان ط1، 2003م.

8-أبو شريف عبد القادر،مدخل إلى تحليل النَّص الأدبي،ط3،دار الفكر،عمان،الأردن،2000م.

9-الصمد،واضح،السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي،ط1،بيروت،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع1995/1415م.

10-عليان حسن،البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام1973م،ط1

بيروت،عمان،ساقية الخنزير،دار الفارس،للنشر والتوزيع،2001م.

11-عصفور جابر،الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،ط3،المغرب:المركز الثقافي العربي1992م.

12-القصراوي،مهاجسن،الزمن في الرواية العربية،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2004م.

13-منيف،(عبد الرحمان)،بين الثقافة والسياسة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،والمركز الثقافي العربي الدار البيضاء،بيروت،ط3، 2001م.

14-محمد داني،الرواية السجينة العربية،دراسة نقدية (كتاب)،ط1،سنة2016م.

15-النابلسي،شاكر،جمالياتالمكان في الرواية العربية،ط1،عمان،دار فارس للنشر والتوزيع،1994م.

16-النصير ياسين،إشكاليات المكان في النَّص الأدبي،ط1،بغداد،دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية1986م.

الرسائـــــــــل الجامعيـــــــــــة:

1-بوسعيد حليمة،صور الوطن في الشعر"محمود درويش أنموذجًا"مذكرة تخرج"لنيل شهادة الماستر،تخصص أدب حديث،تحت إشراف الأستاذ بروش حسناء،جامعة العربي بن مهيدي،أم البواقي س.ت،2014م/2015م.

2-سلمى شارع،نصر الدين صوالح،مقارنة بنوية تكوينية في أدب السجون"عربة المجانين"لكـــارلوس ليسكانو" ويسمعون حسيسها لأيمن العتوم أنموذجًا،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر،تخصص أدب معاصر،تحت إشراف أمال كبير،جامعة العربي التبسي،تبسة،س.ت2016م/2017م. -شرين محمد

حسن سليمان،دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون:"أطروحة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير،تخصص لغة عربية،تحت إشراف الدكتورة بنان صلاح الدين،القدس،فلسطين،س،ج 1439هـ/2018م.

4-عبد القادر لكحل،دلالة المكان في أدب السجون في المغرب الأقصى رواية "تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم"،لمحمد الرايس أنموذج مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر،تخصص أدب عربي حديث ومعاصر تحت إشراف مجموعة من الأساتذة،المسيلة،س،ج،2018م/2019م.

5-علي منصوري،البطل السجين السياسي في الرّواية العربيَّة المعاصرة،أطروحة دكتوراه جامعة الحاج لخضر،الجزائر،إشراف محمد العبد،تاورتة،2008م.

الصـــــــــحف والمـجـــــــــالات:

1-رواق حورية،سجينة عمر شكيري،المضمون والبناء،مجلة مقاليد،العدد الثالث،ديسمبر2012م جامعة خنشلة(الجزائر).

2-أبو زيد،أحمد،الإغتراب،مجلة عالم الفكر،ص05، ع1،أبريل،مايو1979م.

3-العلوان،علي عباس،الرؤية المأساوية في الرواية العراقية،مجلة فصول،ص103، ع04، 1998م.

ديـــــــــــــــوان:

1-محمد العيد آل خليفة(الديوان)،تقديم:عمر بن قتيبة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1992م.

مـــــــــــــــركز:

1-مركز أبو جهاد لشؤون،المركز الأسرة إبدعات انتصرت على القيد،المركز الأول.

المـــــــــــــقالات:

1-أمال كبير،مقال بعنوان سجن النساء(حتمية الموقف ومصادقة الحياة قراءة في روايات تسوية) نقلاً عن مذكرة ماستر من إعداد الطالبتين سلمى شارع ونصر الدين صوالح،جامعة العربي التبسي،تبسة الموسم الجامعي،2016م/2017م.

2-عائشة عودة،مقابلة مع شرين محمد حسن مقهى زرياب/رام الله ساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا بتاريخ:السبت2017/11/11م.

المـــــــــــــعاجم:

1-ابن منظور،أبو فصل جمال الدين محمد بن كرم،لسان العرب،المجلد13،ط3،بيروت،دار صادر 1414هـ/1994م.

مواقـــــــــــع إلكـــرونيـــــــــّة:

1-حمدونة رأفت،أدب السجون التعرف والمميزات مقالة إلكترونية

http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/01/24/39 1920

2-القوقعة،من عتمة السجون السورية إلى الضوء،موقع إلكتروني هنييعل

https://hanibaael.wordpress.com/2016/05/26 القوقعة،من عتمة الســـــجون السورية إلى الضوء.

3-ينظر:د.صالح دلعة،اشكالية الزمن الروائي،موقع إلكتروني

https://startimes.com/?t=26742335

4-عمار خبابي،نظرية الأجناس الأدبية،الحوار المتمدن،الموقع الإلكتروني

www.m.ahe warar.org

5- نبذة عن رواية القوقعةSOTOR.COM

فهرس

المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل: ماهية أدب السجون	1
الفصل الأوّل: مسارات الكتابة العربية في أدب السجون	
تمهيد	13
1- العوامل التي ساعدت على الكتابة الأدبية لدى الأسرى.	15
2- حضور السجون في الرّواية العربيَّة.	16
3- خاصية الكتابة في السجن.	19
الفصل الثاني: عناصر البنيَّة الرّوائيَّة في أدب السجون "رواية القوقعة"	
1- توثيق موجز لصاحب الرّواية	24
- الفضاء النصّي	25
- تلخيص الرّواية	27
2- **المبحث الأول:الشخصية**	30
أوّلا: شخصيّة البطل	31
ثانيّا: الشخصيّة المساندة للبطل	34
ثالثا: الشخصيّة المعادية	38
3- المبحث الثاني:الحدث الروائي	40
أوّلاً:الافتتاحية	40
ثانيًا:الحدث المخيف	41
ثالثًا:الزمن الروائي	42
4- المبحث الثالث:المكان في السجن	44

- المكان الروائي	44
- أنماط المكان	44
- المكان المغلق والمفتوح	46
خاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	53
فهرس المحتويات	60